مفكرة

قصة أبو صابر الفلسطيني

عادة ابو صابر ان يقيس الناس على مقاسه فهو مستقيم ، متسامح ، يقول الحق ولو على قطع رأسه . ويجابه الحياة بعنفوان ، ويجد على الدوام تبارير عفوية لكل الاحداث التي تمر في حياته ، ولا يحب الدخول في عملية القال والقيل فيوجع رأسه ورأس غيره . فطيبته تجعله يهلل كالطفل لكل اعمال الخير ، ويصحح كل سوء بشعاره ((الله المسامح)). وعلى هذا المنوال يمضي حياته ، وقد تزوج وانجب وتزوجوا وانجبوا وابو صابر رأس العيلة يعلم التسامح والمحبة .

وجاء يوم ظلم فتشرد وعياله من وطنه واستضيف عند اخوة له ، كان ولا زال بينهم مثلا وقدوة . ولم يكن لابي صابر من اعداء اللهم الا العدو الصهيوني ومن وراءه ومن كان السبب في تشرده وعيشته الزرية المؤلمة. وباقي ما تبقى كان يعدهم في مصاف ((الاخوة والاصدقاء)) فلا بد في رأيه من ان يكون الاخرون في مصاف الحق وهو يعي ويعرف تماما ان الحق معه ...

ومع الايام استعاد ابو صابر قدرته على النهوض من الله وبدأ بناء طريق العودة ، فكان نضاله ينمو يوما بعد يوم ومسيرته تتسع وتفرز من حولها كل الالتفافات فيبين منها الحقيقي والصادق ومن جهة المزيف والمتحذلق . ولكن ابو صابر تغاضى عن التجزيء من اجل هدفه الا وهو تحرير الوطن كاملا والعودة اليه . وسطع ابو صابر بسرعة لانه قادر ومؤمن بعدالة حقه وبدأ يصبح عملاقا تتحرك على اساس وجوده كل التركيبات في المنطقة وحتى التركيبات في العالم فهو في منطقة حساسة، ومن هنا التف حوله من آمن وافتخر واعتبره القدوة وبارقة الامل وايضا التف من تحذلق وتمظهر لغايات في النفس وكل هذا الفرز كان بين ((الاخوة والاصدقاء)) من المحيط الى الخليج الى ... الى ...

وتأخذ القصة ابعادها فهذا يساعده ويناضل الى جانبه على اساس ((الاخوة)) وهذا يبطن له السوء ويطعنه على اساس ((الاخوة)) ايضا . وابو صابر لا زال بارادته على عادته يقيس الناس على مقاسه كي تبقى مسيرته باتجاه هدفه الحقيقي والاساسي . ولكن الحياة تأبى الا ان تفرز الحقائق دائما وبشكل حاد ومباشر . وها انه بعد هذا العمر وبعد هذه المسيرة يجد ان الطعن والغدر يأتيانه ليس من العدو الصهيوني فقط بل ايضا من بعض ((الاخوة)) القريبين والبعيدين . ومرة على مرة تعلم ، ان اللعبة خطيرة وكبيرة تلعبها اكثر من جهة . فرصد كل التحركات الشاذة ، وحذّر في البداية وشهّر ، ولكن المتآمرين لم يستردوا صوابا ولا استحوا بل ازدادوا شراسة، فافتروا وافتعلوا ولكنه صبر لانه ما زال يعتبرهم بشكل ما اخوة له بالامكان ايجاد حد ادنى للتعامل معهم لانه مصمم على الا يدخل معهم في عملية تقزيمه والهائه عن خطه الاساسي .

ولكن اللعبة كبرت وازدادت الجهات . فطعنوه اولا في الاردن كي يقصموا ظهره ويقضوا عليه ليمرروا مشاريعهم وعمالتهم ولكنهم لم ينجحوا وها انت عدت وكبرت من جديد واشتد ساعدك ، ولكن ها هم من جديد يعاودون اللعبة ، فمرة ومرتين وثلاث واللعبة تكبر ، وتنفيذها يشتد ويزداد شراسة .

واللعبة قذرة يا ابو صابر ففي كل مرة يبدأون بتنغيمة جديدة فمرة ان وجودك خطر على السيادة ومرة انك تتدخل في الشؤون الخاصة ، وانك مع فئة ضد فئة وطائفة ضد طائفة ومرة انك لم تقدر الضيافة فاكلت وشربت ورميت حجرا في البئر الى اخره من الاسطوانات التي يأكلون فيها رأس محازبيهم ورأس الكثيرين ممن يعيشون على سيرة هات ايدك والحقني ، ويزيدون على كل ما سلف تقسيم عيالك الى شريف وغير شريف ومنضبط وغير منضبط ويمررون كل هذا ببيانات عاطفية في ظاهرها من الحب والتعاطف ما يجعلك تحظى من حبهم اكثر مما حظيت جولييت من حب روميو .

((الكبار)) بين الاخوة يرتبون اللعبة كي يتابعوا استسلامهم المشين ويقصقصوا جوانحك لتحويلك من نسر الى صوص يسهل عليهم نتفه وتنفيذ مآربهم . ويوظفون من اجل هذا ذوي النفوس الضعيفة والمتخاذلين والعنصريين فيجعلونهم رأس الحربة ، فيفتعلون المشاكسات والمجازر تحت شعار الحفاظ على وجودهم الذي تعديت عليه . وانت من هذا براء ذلك انك احرص على الوطن الاخ والجار من هؤلاء المرتشين الخائفين على بقاء سيطرتهم على الناس الذين يستعملونهم من اجل الابقاء على اقطاعهم واحتكارهم وامتصاص تقدمهم باتجاه التقدم والرقي . وتصل بهم القذارة الى التقسيم الطائفي وهو اقذر ما في اللعبة فيقيمون الاخ على اخيه والجار على جاره ويخلخلون البيت الواحد الكبير على من فيه . ولكن اهل البيت ملوا اللعبة التي يستدرجهم اليها المحتكرون وتصدوا لها . ففي كل مرة يشعر المتخاذلون ان اوراقهم ستنكشف وان الارض تميد من تحتهم يركضون للتوظف لدى المؤامرات المحاكة في المنطقة ضدك وضد عيالك يا ابو صابر وينفذوها ضدك وضد كل محبيك والذين يرون فيك الامل والطليعة.

انت تعرف الحقيقة ، لقد صار صوتك عاليا ويدك قادرة لذلك ارادوا ان يقرطموا صوتك ويديك ويمرروا في زلطك كل مؤامراتهم الدنيئة من اجل تصغيرك واسكاتك . ولكنك كشفتهم وكشفهم الجميع . واسقطت كل ادعاءاتهم ، فانت تحترم من استضافك وتحافظ على وجودك وانت لا تتدخل في شأن احد ولا تناصر طائفة على طائفة فانت واحد من كل الطوائف والملل وكلها متوحدة فيك . فليكف المبوجقون عن لعبتهم وليكف اسيادهم عن المتاجرة بقضيتك يا ابو صابر ، فنحن العارفون انك لن تفتح لهم مجالا لضربك وستتابع بزخم وصلابة مسيرتك نحو تحرير الوطن كاملا ، وسيتساقط على الجوانب كل المتآمرين واحدا بعد واحد .